تـمّ تحميـل هـذا الملـفّ مـن مكتبـة الأديـب الرّاحـل رمضـان لاونـد | جميـع الحقـوق محفوظـة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

برنامج

في رحاب القرآن –41

مقدمة البرنامج .....

مؤثرات ...

الراوي (1) : الله تبارك وتعالى يقول في منزل كتابه : " وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ " ..

الراوي (2) : والتذكير يكون بالموعظة .. وفي الموعظة تبيان يتخلله ترغيب وترهيب الغاية منهما هي إضاءة الطريق أمام القلب وتمهيدها تسهيلاً وتيسيرا. فمن كتب له أن يكون من أصحاب النعيم فقد سعد حظه ومن كتب عليه أن يكون من أصحاب الجحيم فقد ساء مصيراً ومقاماً .

الراوي (1) : لكن الحظوظ لا تأتي دون جهود .. وقد بين الله سبحانه طريق هذا الجهاد وأساليبه . فكان وحيه كله هدى وبياناً للناس وموعظة خالصة للمتقين .

نقلة موسيقية ..

صالح : ألا ترى يا أستاذ **محمد** أن هذه التقسيمات التي قد وضعها بعض دارسي القرآن ليست غير أثر من آثار الأساليب القصرية التي أغرم بها الناس وأملتها عليهم طبيعة الأبحاث المادية والمعادلات الرياضية ؟

محمد : كيف ذلك يا **صالح** ؟

صالح : خذ مثلاً قولك لنا في أثناء التعرض لمناهج التربية في القرآن أن هناك ألواناً من الفنون التعليمية التربوية .. من الموعظة وفن التعليم بالقصة ومن التربية بالعقوبة ومن التربية بضرب الأمثال .. ولو شئنا أن نعيد النظر قليلاً في هذه التقسيمات لوجدنا أن فن الموعظة يستوعبها جميعاً دون استثناء ..

سعيد : نعم يا أستاذ **محمد** .. لقد أدرنا هذا الموضوع بيننا وبين أنفسنا وتساءلنا مساء أمس : عن السبب الذي يدفعك إلى تبني هذه التقسيمات التفصيلية واختيار عدد مساو لها من التسميات مع العلم أنها كلها داخلة في مفهوم الموعظة .

محمد : حسن جدا .. وقبل أن أجيب عن تساؤلكما أتوجه إلى أخيكما **جاسم** : هل ترى رأيهما أم أن لك موقفاً آخر ؟

جاسم : كلا .. أنا لا أرى رأيهما وأن كنت قد احتفظت مساء أمس في أثناء المناقشة بصمتي وذلك لأنني لم أكون قد كونت رأياً حول الموضوع ..

محمد : اذاً نستمع إلى رأيك .

جاسم : بل نستمع إليك فأنت مصدر فتيانا .

محمد : كلا يا بني .. إن ميزة هذه الندوة في أن التعلم فيها يجري عن طريق الحوار .. فلنستمر بهذه الخطة ..

جاسم : حسن كما تشاء .. الواقع أن الموعظة فيها التوجيه والتعليم بصورة عامة دون تحديد لأسلوب خاص ولطريقة مفردة في التوجه إلى النفوس . ولما كنا هنا في معرض التفصيل لما في كتاب الله من أساليب البحث وطرائق المناقشة فقد وجب أن يخصص لكل طريقة فنية بحثاً مستقلا .

صالح : ولكن ألا ترى يا **جاسم** أن هذا النوع من المباحث يدخل ضمن ما يسمى اليوم بالمباحث الأكاديمية .. بمعنى أنه بحث نظري لا علاقة له مباشرة بالتطبيق أو على الأقل ليس ذا أهمية خاصة في صوغ الخطوات التطبيقية؟

جاسم : هذا سؤال أترك لأستاذنا حق الإجابة عنه .

محمد : صحيح يا **صالح** أن هذا التقسيم التفصيلي هو بحث نظري ولكنه خلافاً لما تقول وسيلة إيضاحية تجعل المسلم أكثر وعياً بأصالة القرآن في تعليم المؤمنين به وتربيتهم ..

نقلة موسيقية ..

الراوي (1) : ويمضي الأستاذ المحاضر في ضرب المثل فيقول : لنأخذ مثلاً مجموعة الآيات التي عيناها في نهاية الحلقة الماضية من سورة لقمان في قوله تبارك وتعالى : " وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ..

الراوي (2) : ثم يتابع التلاوة فيقول : " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)"..

الراوي (1) : وينتقل بعد ذلك إلى فقرة أخرى جاء فيها " يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(16)يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19)"..

نقلة موسيقية ....

محمد : لاحظوا معي أيها الأبناء أن ما جاء في هذه الآيات الكريمة هو الوعظ بصفته العامة .. فهو ليس وعظاً بالقصة ولا هو وعظ بضرب الأمثال .. ولا هو وعظ بالعقوبة الزاجرة . إنه مجرد نداء أو دعوة للإلتزام لأوامر الله في علاقات وتصرفات معينة ..

جاسم : ومع ذلك فإن الذي يبدو لي من خلال ما سمعته أن في هذه الآيات تصنيفاً لبعض المعاني بحيث تبدو متدرجة في الأهمية .

سعيد : هذا صحيح .. فإن في ملاحظة أخينا **جاسم** لمحات ذكية .. لننظر مثلا في المعنى الأول : وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.. وهذا أمر طبيعي فإن وعظ الإنسان بدعوته إلى الايمان بالله وإلى الامتناع عن الشرك به هو الأمر المقدم على كل شيء في الدعوة الإسلامية .

محمد : أحسنت يا **سعيد** .. فلننظر فيما يقوله **جاسم** و**صالح** فيما جاء من بعد ..

جاسم : اما القسم الثاني فيبدو عند النظرة الأولى وكأنه موضوع غريب عن الموضوع الأول ولكننا حين نتذكر أن الإحسان إلى الوالدين في كتاب الله هو أمر تعبدي يأتي في الدرجة الثانية بعد العقيدة ندرك من ثم أهمية الانتقال إلى وعظ الانسان بدعوته إلى شكر الوالدين بعد شكره لله عز وجل .

صالح : وليس هذا وحسب . بل إن تقييم الوالدين قد جاء في هذه المرة متميزاً بخطورة خاصة . إنه تبارك وتعالى يصر على الأبناء أن يصاحبوا آباءهم وأمهاتهم بالمعروف حتى ولو كانوا من المشركين . ثم يتجاوز هذا الحد من الوعظ ويقول : وَإِنْ جَاهَدَاكَ –أي الوالدان –عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا".. فالأمر بالمصاحبة بالمعروف قائم حتى ولو صدرت عن الوالدين دعوة إلى الشرك . فإن محاسبتهما على ذلك عائدة إلى الله عز وجل .

محمد : هذا كله يتعلق بالقسم الثاني من الوعظ القرآني في الآيات التي تلوتها عليكم .. فما رأيك يا **سعيد** فيما بعد ذلك ؟

سعيد : أعتقد أن القسم الثالث هو المرحلة الثالثة والمرتبطة بطبيعتها بما قبلها .. لنلاحظ مثلاً أن المرحلة الأولى من الوعظ تناولت موضوع العقيدة ، وأن المرحلة الثانية تناولت موضوع الإحسان إلى الوالدين . والوفاء لهما ، في كل الأحوال بغض النظر عن ايمانهما أو كفرهما . ثم تأتي المرحلة الثالثة ، ثالثة من حيث الأهمية .. أي أنها تتصل بالأخلاق الشخصية عند المسلم والتي يجدر به أن يتخلق بها في علاقته بالناس وتعامله معهم ..

محمد : أحسنت يا **سعيد** .. الحقيقة أنها تبدو وكأنها الواجهة الخارجية للبنية الدينية عند المسلم .. الأساس هو العقيدة .. والأجدر أن هي الوفاء للوالدين .. أما الواجهة الخارجية وهي جزء مكمل وضروري للبناء فهي التي تتمثل في وعظ لقمان لابنه يعلمه فن الحياة ويدله إلى خطة التعامل مع الناس ..

نقلة موسيقية ..

الراوي (1) : وينتقل الأستاذ المحاضر إلى تفصيل ما أجمله فيقول: لاحظوا معي الحقيقة الأولى التي يقول فيها لقمان لابنه ما معناه : لا تهملن يا ولدي ما يصدر عنك من كبير الأمور أو صغيرها . إنها لو كانت بحجم مثقال حبة من خردل وكانت في مكان ما من صخرة ومغارة في أرض أو فضاء في السموات لأتى بها الله عز وجل دون عناء ولحاسبك عليها ..

الراوي (2) : ثم يقول : إن هذه الملاحظة جاءت بمثابة مدخل للمواعظ التالية التي تطالب بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصائب لأن هذه الصفات والسمات الخلقية من عزم الأمور ..

الراوي (1) : ويتابع القول من بعد فيلفت نظر تلامذته إلى الوجه الثالث من الموعظة وهو الذي يمنع فيه لقمان ولده من الغرور وتصعير الخد للناس والمشي مشية الكبرياء والمرح لأن الله لا يحب المختالين الفخورين .. ويصر على ولده أن يمشي مشية قاصدة معتدلة فيها النشاط المطلوب ولكن ليس فيها الغرور المكروه وأن يغض من صوته فيتكلم بهدوء يعكس ثقته بربه واطمئنانه إلى مصيره . ذلك لأن الصراخ أمر منكر ولعل صوت الحمير أن يكون أنكر الأصوات الصارخة في غير مبرر ..

نقلة موسيقية ....

صالح : شكراً لك يا أستاذ **محمد** .. لقد اتضح لنا حتى الآن الوجه المقصود من إفراد الأسلوب الوعظي العام في مبحث التربية القرآنية . والواقع أنني في أثناء استماعي إليك تعقب على ما ورد في الآيات من سورة لقمان قد تذكرت عدداً كبيراً من النصوص القرآنية التي تتخذ هذا الطابع الوعظي العام .. كما في سورة الإسراء ابتداء من قوله تبارك وتعالى : " لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا "..

سعيد : وهذه ملاحظة لطيفة أيضاً تأتي على لسان أخينا **صالح** .. إن استعراض مجموعة الآيات التي تأتي بعد هذا القول الإلهي هي سرد لجملة من المواعظ العامة .. ولكنها ترد أيضاً على نحو متدرج يلفت النظر وكشف لنا عن وجه من وجوه كثيرة ، لا نحصيها عداً ، للحكمة الإلهية في هذا التنزيل العظيم .

محمد : صدقت يا **سعيد** .. وفي يقيني أن جاسماً يحفظ هذه الآيات لكما هو شأن كل منكم .. فما هو رأيك يا **جاسم** في أن تقدم إلينا خلاصة للمعاني الوعظية الواردة في هذه الآيات ؟!..

جاسم : أمرك يا أستاذ **محمد** .. المعاني فيها تتدرج كما يلي : التحذير من الشرك ، الوفاء للوالدين ، اعطاء ذوي القربى حقوقهم والمساكين وأبناء السبيل ، الامتناع عن التبذير ، الاعتدال في النفقة ، الامتناع عن وأد الأولاد وعن الزنى والقتل والمطالبة بالتعفف عن أموال اليتامى والوفاء بالعهد وإيفاء الكيل والعدل في الوزن والامتناع عن الخوض فيما لا علم لك به وأخيراً التواضع ..

محمد : أما وقد سمعتم هذه الخلاصة ، وهي بالطبع لا تقدم الصورة الكاملة لما جاء في كتاب الله ،فإن في وسعكم أن تستبينوا اللائحة الدقيقة الشاملة لمواصفات المسلم الكامل كما أن في وسعكم أن تقيموا عن طريقها كل حسنة وسيئة وأن تعينوا حجم كل منهما في جملة البنية الدينية عند المسلم . وهنا انتهز هذه الفرصة لأقول لكم .. صحيح أننا أفردنا التربية بالموعظة في مناقشاتنا واعتبرناها ظاهرة متميزة من سواها في كتاب الله .. لكن هذا لا يمنعني من تقرير ما قرره بعضكم من قبل من أن كتاب الله كله فن متكامل متحد الأجزاء يواجه المسلم باعتباره الموعظة الكبرى التي تستوعب أعداداً من أساليب التوجيه والتعليم .. لكن الرغبة في التوضحي والتصنيف هي التي دفعتنا لاتخاذ مثل هذه التقسيمات ..

صالح : ألا ترى أن في وسعنا بعد الذي انتهينا اليه أن ننتقل إلى خطة تربوية أخرى من خطط القرآن ؟

محمد : طبعاً يا **صالح** .. إن هناك خطة تعتمد ضرب الأمثال ورواية القصص التاريخية لا لإمتاع قارىء القرآن أو التعريف بأيام الأمم الماضية لمجرد التعريف بل للتعليم والتبيين أي للإرشاد والتوجيه والوعظ .

سعيد : ولا تنسى يا أستاذ **محمد** أن تربية القرآن للمسلمين عن طريق العقوبة الرادعة هي ركيزة من الركائز الأساسية .

محمد : ومن منا يخالف عن هذا الرأي .. لكن مبحث التربية عن طريق العقوبة أو المثوبة قد سبقت الإشارة إليه وإن كان هذا لا يمنعنا من العودة إلى الموضوع مرة أخرى بسبب أهميته . وفي وسعي أن أضيف إلى ما سبق أن قلته هنا أن التربية بالعقوبة أولاً ثم بالمثوبة مقدمة في نظري على كل اعتبار آخر . وسأسوق بعض التفصيلات في ندوات قادمة إن شاء الله .

جاسم : أنا أعلم يا أستاذي أن التربية بالعقوبة قد لعبت دوراً خطيراً في تاريخ الحضارات البشرية . ولذلك فإنني أتمنى عليك أن تقصر الحديث على التربية بالقصص والأمثال ثم ننتقل من بعد للتجول في عالم العقوبة .

محمد : الحقيقة يا بني أن ضيق الوقت لن يسمح لي بمناقشة أي من هذين الموضوعين فقد اقترب وقت الندوة من نهايته فليكن موضوع ندوتنا القادمة خاصاً بالقصص في كتاب الله .. حتى إذا أتينا على هذا الموضوع انتقلنا إلى موضوع العقوبة .

موسيقى نهاية .....